يوجيـن أونيـل

قبـل الإفطَـــار

الشخصية- السيدة رولاند

المنظر: حجرة صغيرة صالحة لتكون مطبخًا وحجرة طعام، في شقة بشارع كرستوفر بمدينة نيويورك. في المؤخرة- إلى اليمين- باب يؤدي إلى الرواق الخارجي. إلى يسار المدخل، موقد جاز منخفض ذو شعلتين. فوق الموقد خزانة خشبية للأطباق تمتد حتى الجدار الأيسر إلخ. إلى اليسار، نافذتان تطلان على سُلم للنجاة، حيث توجد نباتات زينة كثيرة تموت من الإهمال. أمام النوافذ، منضدة مغطاة بقماش. كرسيان بقاعدتين خيزران موضوعان حولها. كرسي آخر موضوع أمام الجدار الموجود إلى يمين باب المؤخرة. في الجدار الأيمن- في المؤخرة- مدخل يؤدي إلى غرفة النوم. في المقدمة أشياء مختلفة لملابس رجل وامرأة معلقة ومشبوكة على حبال غسيل. حبل ملابس يمتد من الركن الأيسر في المؤخرة إلى الجدار الأيمن في الأمام.

حوالى الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم جميل ومشمس، في أوائل الخريف. تدخل السيدة رولاند من حجرة النوم تتثاءب. ما تزال يداها مشغولتين بوضع اللمسات النهائية لتزين غير متقن بغرز دبابيس في شعرها، الذي يضم مجموعة ضخمة منه ذات اللون الأسمر الفاتح على قمة رأسها المستديرة. سيدة متوسطة الطول تميل إلى بدانة غير محددة المعالم، يبرزها فستانها الأزرق الذي لا شكل له، الرث والبالي. وجهها لا سمة فيه إلا قسمات صغيرة متناسقة. عينان بلون أزرق لا يوصف. هناك تعبير خافت في عينيها، وأنفها وفمها الصغير التواق إلى الإغاظة. هي في بداية عشريناتها، لكنها تبدو أكبر بكثير.

تأتي إلى منتصف الغرفة وتتثاءب. تبسط ذراعيها لأقصى مدى. عيناها الناعستان تحدقان في الحجرة بنظرة قلقة، بسبب نومها الطويل الذي لم يعطها الراحة الكافية. تذهب إلى الملابس المعلقة إلى اليمين بسأم، وتأخذ المريلة من المشبك. تربطها حول خصرها. تصب جام غضبها في كلمة "اللعنة"، حين فشلت العقدة في الانصياع لأصابعها المتعثرة. في النهاية، ربطتها وذهبت بتأن إلى موقد الجاز وأشعلت إحدى الشعلتين. ملأت إناء القهوة حتى غمرته ووضعته على اللهب. ثم هبطت في كرسي بجانب المنضدة، ووضعت يدها على جبهتها، كما لو كانت تعاني من الصداع. فجأةً، يبتهج وجهها كما لو تذكرت

شيئًا، ثم تلقى بنظرة سريعة إلى خزانة الأطباق الخشبية، ثم تنظر بحدة إلى باب غرفة النوم، ثم تتسمع لدقيقة أو أكثر.

السيدة رولاند: (بصوت منخفض) ألفرد! ألفرد (لا يأتي رد من الحجرة المجاورة، وتستمر في النداء بصوت أعلى تشوبه الريبة) لا داع لأن تدعي أنك نائم

(لا يأتي رد على ذلك من غرفة النوم. ولكي تتأكد نهضت من مقعدها، وخطت على أطراف أصابعها بحذر إلى خزانة الأطباق. ببطء تفتح الباب، تحتاط جدًّا من حدوث جلبة. وتخرج زجاجة خمر جوردوني وكأسًا من مخبأهما خلف الأطباق. أثناء ذلك، ضربت الطبق العلوي فأحدث صوت قعقعة. وبهذا الصوت، أحست بالذنب، وأخذت تنظر بتحد وهي مقطبة الجبين إلى مدخل الحجرة القريبة)

(صوتها يتلعثم) ألفرد.

بعد صمت، أثناء تسمعها لأي صوت يصدر، تأخذ الكأس وتصب جرعة كبيرة وتتجرعها، ثم تعيد الزجاجة والكأس إلى مخبأهما. تغلق باب الخزانة بنفس الحذر الذي فتحته به، ثم تطلق تنهيدة راحة كبيرة وتغوص مجددًا في مقعدها. جرعة الكحول الكبيرة لها تأثير فوري. أصبحت قسماتها مفعمة بالحيوية، ويبدو أنها تستجمع قواها، وتنظر إلى باب حجرة النوم، وابتسامة انتقامية حادة تكسو شفتيها. تلمح عيناها

بسرعة الحجرة، وتثبت على معطف الرجل وملابسه المعلقة على شماعة إلى اليمين. تتحرك خلسة نحو المدخل المفتوح، وتقف هناك دون أن يراها مَن بالداخل، وتتستمع لأية حركة)

(تنادى بهمس) ألفردا!

(مجددًا، لا إجابة. بحركة خفيفة تأخذ المعطف والصديري من فوق الشماعة، وتعود بهما لمقعدها. تجلس وتخرج أشياء عديدة من كل جيب، لكنها تعيدهم مرةً أخرى. أخيرًا في جيب الصديري الداخلي تجد خطابًا. تنظر إلى الخط- تقول لنفسها ببطء)

همم! أعرفه.

(تفتح الخطاب وتقرأه. في البداية يكتسي وجهها بتعبير الكراهية والغضب. لكن عندما تستمر حتى النهاية يتغير إلى خبث المنتصر. تغرق في أفكارها للحظة، تحدق أمامها والخطاب في يدها. ابتسامة قاسية ترتسم على شفتيها. ثم تعيد الخطاب إلى جيب الصديري. وما تزال حذرة من عدم إيقاظ النائم، تعلق الملابس ثانيةً على نفس الشماعة، وتذهب إلى حجرة النوم وتنظر داخلها)

(بصوت عال وحاد) ألفردا! (ما يزال صوتها عاليًا) ألفردا!

(هناك تثاؤب مصحوب بتأوه مكتوم؛ الصوت صادر من الغرفة المجاورة)

ألا تعتقد أنه حان وقت النهوض؟ هل تريد البقاء في الفراش طوال اليوم؟ (تستدير وتعود لمقعدها) ليس ذلك بسبب أن عندي

أدنى شك في كسلك الكافي لأن تبقى في الفراش إلى الأبد. (تجلس وتنظر من النافذة بقلق) الأسوياء يعرفون الوقت الآن. لم نجد طريقة ما لمعرفة الوقت منذ أن رهنت ساعتك كالأحمق. آخر شيء ذو قيمة كان معنا، وأنت على يقين من ذلك. لم يكن لديك شاغل إلا المراهنة، المراهنة، المراهنة. بأي شيء معك- لتتجنب الحصول على وظيفة، أي شيء لتفر من الذهاب للعمل كرجل.

(تضرب الأرض بقدمها بعصبية، تعض شفتيها)

(بعد صمت قصير) ألفرد! انهض، هل تسمعني؟ أريد أن أرتب الفراش قبل أن أغادر. لقد أصابني الغثيان من تلك الفوضى المستمرة في الجانب الذي تنام فيه. (بنبرة إشباع رغبتها في الانتقام) ليس السبب أننا سنظل هنا طويلاً، إن لم نستطع الحصول على المال من مكان ما. يعلم الله أنني أقوم بواجبي- وأكثر- فأخرج كل يوم للقيام بأعمال الخياطة، بينما تقوم أنت بدور الوجيه، وتتسكع في البارات مع أولئك الفنانين ذوي الوجوه المقنَّعة في الميدان.

(صمت قصير تعبث خلاله بعصبية بالفنجان وصحنه فوق المنضدة)

ومن أين ستحصل على المال، أريد أن أعرف؟ حان وقت دفع الإيجار هذا الأسبوع. وما أدراك ما المالك. لن يسمح لنا بالبقاء دقيقة فوق ميعادنا. أنت تدعي أنك لاتستطيع الحصول على وظيفة. إنها كذبة، وأنت تدرك ذلك. ولن تبحث عن وظيفة أبدًا. كل ما تفعله هو إضاعة الوقت في كتابة شعر سخيف

وقصص لن يشتريها أحد- ولا عجب في أنهم لن يفعلوا. أدرك أنني أستطيع الحصول دائمًا على فرصة كهذه، لكنها فقط كي تحمينا من الموت جوعًا.

(تنهض وتذهب إلى الموقد- تنظر في إناء القهوة لترى ما إذا كان الماء يغلي، ثم تعود وتجلس مجددًا)

لابد أن تحصل على المال اليوم من أي مكان. لا أستطيع توفير كل ما نحتاجة، ولن أستطيع. يجدر بك أن تعود إلى صوابك. يجب أن تتسول أو تستدين. أو تسرقه من مكان ما. (بضحكة ازدراء) لكني أريد أن أعرف؟ إن اعتزازك بنفسك يمنعك من أن تتسول. وقد اقترضتَ إلى أقصى حد، وليست لديك قوة أعصاب كي تسرق.

(بعد صمت، تنهض غاضبة) ألم تنهض بعد؟ يبدو أنك ستنام من جديد، أو تدعي ذلك. (تذهب إلى حجرة النوم وتنظر داخلها) أوه، لقد نهضت. حسنًا، في الوقت المحدد. لا داع لأن تنظر إليَّ هكذا. لم تعد قسماتك تخدعني. أعرفك تمامًا- أكثر مما تتخيل- أنت وتصرفاتك.

(تستدير مبتعدة عن الباب- لهدف) أعرف أشياء كثيرة يا عزيزي. بغض النظر عما أعرفه الآن- فسأخبرك به قبل أن أغادر، فلا داع للقلق.

(تأتي إلى منتصف الحجرة، وتقف هناك مقطبة الجبين)

(بقلق) همم! يفترض أن أعد الإفطار أيضًا- ليس هناك الكثير لإعداده (بنبرة سؤال) ما لم تحصل على مال؟ (تصمت منتظرة إجابة من الحجرة المجاورة، دون أن تصدر) سؤال غبي! (تضحك

ضحكة قصيرة وحادة) كان يجب أن أعرفك أكثر من هذا الآن. فحينما غادرت من هنا ليلة أمس غاضبًا أدركت ما يمكن أن يحدث. لا أثق بك بتاتًا. حالة مزاجية جيدة كانت تغلفك عندما أتيت! الشجار الذي نشب بيننا كان فقط من أجل أن تظهر نفسك كهمجي. ما فائدة رهن ساعتك إذا كان كل ماتحتاجه من مال تضيعه على شراء خمر؟

(تذهب إلى خزانة الأطباق، وتخرج أطباقًا وفناجين إلخ. وهي تتحدث)

أسرع! لا أتأخر في إعداد الإفطار هذه الأيام ، شكرًا لك. كل ما لدينا هذا الصباح: خبز وزبدة وقهوة. وكان يمكن ألا تجد هذا لو لم أخرج لأعمال الخياطة (تضرب برغيف خبز على المنضدة بعنف)

للخبز مذاق سيء. أتمنى أن يروق لك. لا تستحق أكثر من ذلك، لكني لا أفهم لماذا يجدر بي أن أعاني.

(تذهب إلى الموقد) القهوة ستكون جاهزة في دقيقة، أو لا داع لأن تتوقع مني أن أنتظرك.

(فجأةً بغضب عارم) ماذا تفعل كل ذلك الوقت؟ (تذهب إلى الباب وتنظر) حسنًا، على أية حال، فأنت غالبًا ارتديت ملابسك. توقعت أن أجدك في الفراش. فهي تصرفاتك الدائمة. كم تبدو فظيعًا هذا الصباح! احلق ذقنك بحق السماء! أنت تثير اشمئزازي! تبدو كمتشرد. لا عجب في أن أحدًا لن يمنحك وظيفة. لا ألومهم- عندما لا تبدو حتى كنصف محترم. (تذهب إلى

الموقد) يوجد ماء ساخن هنا. فليس لديك عذر. (تأخذ فنجانًا وتصب فيه بعض الماء من إناء القهوة) هنا.

(يمد يده ليلتقط الفنجان، يد حساسة ذات أصابع نحيلة، ترتعد فيراق بعض الماء على الأرضية)

(توبخه بسخرية) انظر إلى يديك المرتعدتين. يجدر بك أن تقلع عن الشراب- فأنت لا تحتمله- هو صنفك الذي يسبب لك الرعشة. ربما تكون القشة التي قصمت ظهر البعير! (تنظر إلى الأرضية) انظر إلى الفوضى التي سببتها في الأرضية- أعقاب ورماد السجائر المبعثر في المكان. لماذا لا تضعها في المطفأة؟ لا، أنت لا تضع اعتبارًا كافيًا لتلك الأشياء. كما أنك لا تفكر فيَّ، حيث أنك غير مجبر على كنس الحجرة، وتلك هي كل اهتماماتك.

(تأخذ المكنسة وتبدأ في الكنس بشدة، فترتفع سحابة ترابية. من الحجرة الداخلية يأتي صوت ماكينة حلاقة)

(تكنس) أسرع! حان الوقت كي أغادر. لو تأخرت فسأكون عرضة لفقدان وظيفتي، وبالتالى فلن أستطيع دعمك. (بعد تفكير، تضيف بسخرية) وبالتالي، ستضطر لأن تخرج للعمل أو تقوم بشيء مروع كهذا. (تكنس تحت المنضدة) ما أريد أن أعرفه هو ما إذا كنت ستذهب للبحث عن وظيفة اليوم أم لا. أنت على يقين أن عائلتك لن تساعدنا أكثر مما فعلت. فقد ضاقوا بك ذرعًا أيضًا. (بعد لحظة من الكنس صامتة) لقد كرهت تلك الحياة. يدور بخلدي أن أعود إلى منزلي، فلو لم يكن لديَّ كبرياء لأخبرتهم بكأس الفشل الذي تجرعتُه- أنت، الإبن الوحيد للمليونير رولاند، خريج هارفارد، الشاعر، ساحر المدينة- هه! (بمرارة)

لن يكون هناك الكثيرات منهن الآن يحسدن ساحري إذا عرفن الحقيقة. ما فائدة زواجنا، أريد أن أعرف؟ حتى قبل أن يموت أبوك المليونير، بعد أن حصد أموال البشرية جمعاء، بالتأكيد لم تبدد جزءًا من وقتك على زوجتك. افترض أنك تظن أنني يجب أن أكون مسرورة بكونك ذي شرف كبير لأتزوجك، بعد أن زججت بي في خضم المتاعب. كنت تخجل مني أمام صفوة أصدقائك، لأن أبي كان مجرد بقال. كذلك كان حالك. على الأقل، كان شريفًا، وهى الصفة البعيدة كل البعد عن أن يتصف بها أبوك.

(تكنس بثبات ناحية الباب. تتكئ على مكنستها للحظة)

كان لديك أمل أن يعتقد الجميع أنك أُجبرت على الزواج مني رآفةً بي، ألم تفعل ذلك؟ لم تتردد كثيرًا في أن تصارحني بحبك، وتجعلني أصدق أكاذيبك قبل أن تتحقق، ألم تفعل؟ جعلتني أصدق أنك لم تكن ترغب في أن يتخلص مني أبوك بدفع مبلغ من المال، عندما حاول ذلك. الآن أعرف الكثير. لم أعش معك كل ذلك الوقت بلا جدوى (بكآبة) لقد كان محظوظًا ذلك الجنين المسكين أنه ولد ميتًا، بعد كل ذلك. فأي نوع من الآباء كنت!

(في صمت، تكنس مكتئبة لبرهة- ثم تستمر بنوع من البهجة الفظة)

لكنني لست الوحيدة التي تدين لها بالشكر على تعاستك. هناك واحدة أخرى- على الأقل- لا تتمنى أن تتزوجك الآن. (تطل برأسها في الحجرة المجاورة) ماذا عن هيلين؟

(تقفز مبتعدة عن المدخل شبه مذعورة)

لا تنظر إليّ هكذا! نعم، لقد قرأت خطابها. ما قصته؟ لديَّ الحق في قراءته، فأنا زوجتك. وعرفت كل ما ينبغي أن أعرفه، لذلك لا تكذب. لاداع لأن تحدق فيّ هكذا. بدوني أنا فقط يمكن أن تذهب بدون إفطار هذا الصباح. (تضع المكنسة في الركن- تنتحب) لم تكن ممتنًا أبدًا لما فعلتُه (تقترب من الموقد وتضع القهوة في الكوب) القهوة جاهزة. لن أنتظرك (تجلس في مقعدها مجددًا).

(بعد صمت- تضع يدها على رأسها- باضطراب)

رأسي تؤلمني كثيرًا هذا الصباح. من العار أن أذهب إلى العمل في حجرة ليس بها هواء صحي. ولم أكن مضطرةً لذلك فيما لو كنتَ أنت شبه رجل. وكي يعود الحق إلى أصحابه، فمن المفترض أن أكون نائمة على ظهري بدلاً منك. أنت تعرف كيف اعتلت صحتي السنة الأخيرة، وما تزال تعترض عندما أشرب شيئًا يرفع معنوياتي. بل إنك لم ترغب في أن أتناول ذلك الدواء المقوي الذي حصلت عليه من الصيدلية. (بضحكة مجلجلة) أعرف أنك ستفرح بموتي وأبتعد من طريقك، ثم ستكون حرًّا في مطاردة كل أولئك الفتيات السخيفات اللاتي يعتقدن أنك شخص رائع لم يفهمه أحد- هذه الهيلين والأخريات.

(صراخ حاد من الألم من الحجرة المجاورة)

(بارتياح) هكذا! كنت واثقة من أنك ستجرح نفسك. سيكون درسًا لك. لتعرف، ما كان يجب أن تطوف في الليالي تشرب بأعصاب مشدودة بشكل مروع. (تذهب إلى الباب وتنظر)

ما الذي يجعلك شاحبًا؟ لماذا تنظر إلى نفسك في المرآة هكذا؟ امسح الدم من وجهك؟ (برعدة) إنه فظيع (بنبرة رقيقة) هكذا أفضل. لا أحتمل منظر الدم. (تتقهقر قليلاً بعيدًا عن الباب) الأفضل أن تتوقف عن المحاولة وتذهب إلى الحلاق. يداك ترتجفان بشكل مروع. لماذا تحدق فيَّ كذا؟ (تستدير مبتعدةً عن الباب) هل ما تزال حانقًا عليَّ بسبب الخطاب؟ (بجرأة) حسنًا، كان لديَّ الحق في قراءته. أنا زوجتك. (تأتي إلى المقعد وتجلس ثانيةً. بعد صمت)

عرفت أنك كنت دائمًا تجوب الشوارع مع امرأة. عذرك الواهي هو قضاء الوقت في المكتبة، ألم تخدعني. على أية حال، مَن تكون هذه الهيلين؟ واحدة من أولئك الممثلات؟ أم تكتب الشعر أيضًا؟ أسلوبها في الخطاب ينم عن ذلك. أراهن أنها أخبرتك أن أشعارك هي الأفضل على الإطلاق، وصدقتها كالأحمق. هل هي صغيرة وجميلة؟ كنت صغيرة وجميلة أيضًا، عندما خدعتني بأسلوبك الشعري المنمق، لكن الحياة معك ترهق أية امرأة سريعًا. ذلك ما حدث معي!

(تذهب إلى الموقد وتأخذ القهوة من فوقه) الإفطار جاهز. (بنظرة احتقار) الإفطار! (تصب فنجانًا من القهوة لنفسها، وتضع الإناء على المنضدة) قهوتك ستبرد. ماذا تفعل- أما تزال تحلق ذقنك؟ الأفضل أن تتوقف عن الحلاقة. ذات صباح ستجرح نفسك بشكل خطير.

(تقطع الخبز، وتضع فيه زبدة. خلال الحديث القادم، تأكل وترشف من قهوتها)

لابد أن أركض بعد أن أنتهي من الإفطار. لابد أن يذهب أحدنا إلى العمل. (بغضب) هل ستبحث عن وظيفة اليوم، أم لا؟ أعتقد أن بعض أصدقائك يمكن أن يساعدوك، إذا كانوا حقيقةً يعتقدون أن مقامك رفيع. لكني أخمن أنهم يحبون فقط أن يسمعوك وأنت تتكلم.

(تجلس في صمت لبرهة)

أنا أرثي لحال هيلين هذه. مهما كانت. أليست لديك مشاعر تجاه الآخرين؟ ماذا ستقول عائلتها؟ أرى أنها ذكرتهم في خطابها. ماذا هي فاعلة- تحتفظ بالطفل- أم تذهب إلى أحد أولئك الأطباء؟ يجب أن أقول، إن ذلك الشيء لطيف. من أين ستحصل على نقود؟ هل هي غنية؟

(تنتظر بعض الإجابات لوابل الأسئلة)

همم، لن تخبرني بأي شيء عنها. ألن تخبرني؟ إنني مهتمة كثيرًا بها. اخرج وناقشني في الأمر. على أية حال أنا حزينة لحالها. هي تعرف ما كانت تفعله. فهي ليست طالبة في المدرسة كما كنت أنا، كما يبدو من خطابها. هل تعرف أنك متزوج؟ بالطبع يجب أن تخبرها. كل أصدقائك يعلمون بزواجك التعيس. أعرف أنهم يرثون لحالك. لكنهم لا يعرفون الجانب الآخر منه. وسيتحدثون بشكل مختلف إذا عرفوا.

(منهمكة في الأكل لدرجة أنها لم تستطع الاستمرار في الكلام لثانية أو أكثر)

هيلين هذه! من المؤكد أنها رائعة. إذا عرفت أنك متزوج، فماذا تتوقع عندئذ؟ أن أطلقك وأدعك تتزوجها؟ هل تعتقد هي أنني

مجنونة إلى حد القيام بذلك ـ بعد كل ماجعلتني أخوض فيه؟ لا أظن ذلك! وأنت لن تستطيع أن تحصل على الطلاق مني، وأنت على يقين من ذلك. لا أحد يجرؤ على أن يقول إنني أخطأت في شيء.

(تشرب آخر ما تبقى من فنجان القهوة)

هي تستحق أن تعاني، هذا كل ما أستطيع أن أقوله. سأقول لك ما أفكر فيه. أعتقد أن هيلين رفيقتك ليست أفضل حالاً من فتاة ليل وضيعة. هذا ما يجول في خاطري.

(صراخ مكتوم من الألم يصدر من الحجرة المجاورة)

هل جرحت نفسك مرةً أخرى؟ إن الآله تفعل الصواب معك. (تنهض وتخلع مريلتها) حسنًا، لابد أن أسرع. (بنكد) إنها حياة لطيفة تلك التي أعيشها! لن أحتمل تسكعك طويلاً. (يصل إلى سمعها صوتٌ ما، فتتوقف وتتسمع) هكذا! أرقت الماء على كل شيء. لا تقل إنك لم تفعل ذلك. فأنا أسمع خرير الماء على الأرضية. (تعبير هلع غامض يخرج إلى وجهها) ألفرد! لماذا لا تجيبني؟

(تتحرك ببطء نحو الحجرة. هناك صوت كرسي يُقلب، وشيءٌ ما يتحطم بقوة على الأرضية. تقف والخوف يزلزل جسدها)

ألفرد! ألفرد! أجبني! ما الذي حطمته؟ أما تزال مخمورًا؟

(أصبحت غير قادرة على تحمل التوتر لثانية أخرى، فتندفع نحو باب حجرة النوم)

ألفرِد!

(تقف عند المدخل تنظر إلى أرضية الحجرة المجاورة. مشلولة من الرعب. ثم تصرخ بجموح وتجري إلى الحجرة الأخرى، تفتحها باهتياج وتتركها مفتوحة، وتركض صارخةً بهلع إلى الرواق الخارجي).

يُسدل الستار